المصـــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 26-10-2007
الصفحـات : 22
العـــدد : 5128
المسلسل : 118

FINANCIAL TIMES

على خلفية مبادرات خليجية لتمويل العلوم والتقنية

أخيرا.. هلال الابتكار الإسلامي في وضع الصعود

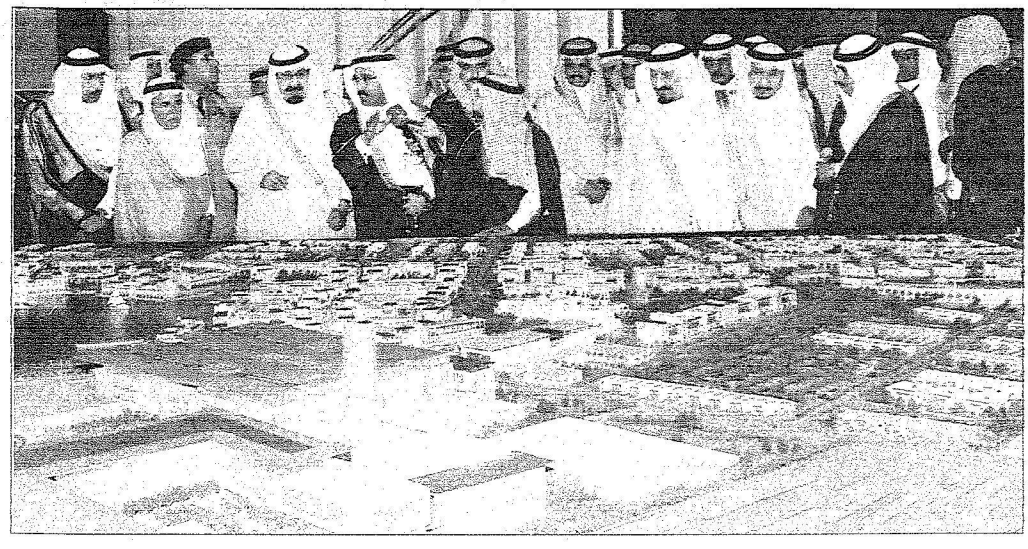

ربما تكون أسماء ناصر الدين الطوسي وابن النفيس أقل معرفة بالنسبة للعديد من الناس، من أسماء إسحاق نيوتن أو ألبرت آينشتاين، غير أن هذين المفكرين المسلمين وغيرهما من العلماء المسلمين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ينتمون الى مجموعة المفكرين الذين شكلت أعمالهم اتجاهات العلوم الحديثة.

جيمس ويلدون

مثل رصيفه الصيني، فإن تاريخ العلوم والاختراع الإسلامي مر بفترة ازدهار عظيم، أعقبتها فترة انهيار طويلة وعميقة، وفي يومنا الحاضر يبلغ متوسط الإنفاق على البحث والتطوير في الدول الـ 57، العضوة بمنظمة المؤتمر

المصـــدر : الاقتصادية
التـــاريخ : 26-10-2007
الصفحـات : 22
العـــدد : 5128
المسلسل : 118

الإسلامي 0,38 في المائة فقط من الناتج المحلي الإجمالي، مقابل متوسط عالمي قدرة 2,36 في المائة.

لا يعد ذلك ببساطة دليلا على الفقر النسبي، لأن الدول المنتجة للنفط كالسعودية والكويت تأتي ضمن أقل المستثمرين في مجال البحوث، كنسبة مئوية من الناتج المحلي الإجمالي.

وفي 2005 انتجت 13,444 نشرة علمية في العالم الإسلامي، أقل من 15,455 نشرة انتجت بواسطة جامعة هارفارد وحدها. ويمكن أن تحدد دراسة مسحية أجريت في 2002 موقف العلوم في المنطقة، ثلاثة موضوعات حققت فيها امتيازا وهي: تقنيات تحلية مياه البحر، إنتاج سلالات الجمال، وأبحاث تربية الصقور وتدريبها على الصيد، مما دفع بعض المعلقين للتلميح بأن هناك شيئا ما يتعلق بالإسلام، معاد للإبداع والابتكار؟! مع أن الصورة بدأت تتغير الآن.

وفي أركان العالم الإسلامي شهدت الـ 12 شهرا الماضية إعلانات لافتة للأنظار. في أيار (مايو) 2007 أطلقت الإمارات مؤسسة برأسمال عشرة مليارات دولار، لإنشاء مراكز أبحاث في الجامعات العربية.

وفي نيجيريا، ضخت الحكومة خمسة مليارات دولار في صندوق متخصص لتطوير تكنولوجيا النفط، بغية دعم البحث والتعليم. وفي قطر تم إنشاء مدينة جامعية على مساحة 2500 هكتار خارج مدينة الدوحة، تحتضن مقار دولية لخمس من أميز الجامعات العالمية.

وفي وقت سابق في آب (أغسطس) 2006 وضع عاهل السعودية الملك عبد الله بن عبد العزيز، حجر الأساس لجامعة تبلغ تكلفة إنشائها 2,6 مليار دولار في الطائف. (وبالأمس وضع حجري الأساس والزاوية لجامعة للعلوم والتقنية تحمل اسمه)، وفي كانون الأول (ديسمبر) من العام الماضي، أطلق الرئيس حسني مبارك "عقد علوم التكنولوجيا".

على صعيد التعاون بين أطراف متعددة، هناك كذلك تركيز على العلوم والابتكار. في 2005 أعلنت منظمة المؤتمر الإسلامي برنامج عمل لعشر سنوات، يحدد أهداف خاصة بالإصلاح التعليمي، ويقترح أنه حتى 2015 يجب أن تعمل الدول العضوة في المؤتمر على إنفاق 1,2 في المائة من ناتجها المحلي الإجمالي، على الأبحاث والتطوير. تأتي قوة دفع محدداً من دول نفط الغنية، التي تنظر إلى الابتكار كمفتاح لرخائها على المدى الطويل.

غير أن مدى وسرعة صعود الدول منفردة على سلم الابتكار، ما زال هناك وقت للتعرف عليه. ويبدو أن هناك عددا قليلا منها من المحتمل أن يتناقص مع أوروبا، اليابان أو الولايات المتحدة في المستقبل المنظور، ولا حتى مع القوى العلمية الناشئة كالصين والهند.

الصغيرة مثل فنلندا، أيرلندا، وسنغافورة بعض قصص النجاح في مجال الابتكار العالمي خلال العقد الماضي، فإن العالم الإسلامي ربما يفاجئنا كذلك في الغرب.

ويفضل المساعي الدؤوبة التي يبذلها ريتشارد داوكينز، كريستوفر هيتشينز وآخرون، هناك نزعة متجددة لرؤية العلم والدين كقطبين غير متناقضين. وفي أماكن أخرى هناك دائما قبول أوسع بأن الإيمان لا ينفصل عن البيئة والسبب. وأثبت العديد من الدول التي تتمسك بمبادئ الدين الإسلامي بأنها من ضمن الدول الأكثر دعما للأبحاث العلمية، فإيران على سبيل المثال، كانت أول دولة في الشرق الأوسط تطور خط خلية جذعية جينية بشرية.

إن الطريق إلى عالم إسلامي ابتكاري أكثر، لا يخلو من عقبات فما زالت هناك بعض التحديات المثبطة للهمم. والواقع أن القسم الأكبر بشكل غير عادي، من الأموال المتزايدة باستمرار لتمويل الأبحاث، يتم توجيهه للتقنية العسكرية، مدفوعين إلى ذلك بالظروف الجيوبولتيكية (الجغرافيا السياسية) أكثر من محاولة الحصول على المعرفة الجديدة والمتطورة. ومن غير المرجح أن ينظر إلى التقدم في مجال التكنولوجيا النووية الإيرانية في أي مكان آخر، مثلما ينظر إلى التطورات التي يتم إنجازها بواسطة صناعة البرمجيات في ماليزيا.

ما زالت هناك عملية نزيف عقول هائلة للغاية إلى خارج العالم الإسلامي، مع سعي العديد من العلماء والمهندسين الموهوبين إلى مواصلة حياتهم المهنية في الولايات المتحدة وأوروبا، في ظل دلائل ضئيلة على تدفقات العائدين الذين أثروا تأثيرا إيجابيا في الصين والهند.

وبالتالي فإن السؤال الأخير والأكثر أهمية هو ما إذا كانت المجتمعات التي ما زالت تقاوم الديمقراطية والحوار المفتوح، يمكن أن تصبح بصدق مرتعا للإبداع والابتكار.

ومثلما خلص بروز هود بهوي، العالم الباكستاني البارز في مقال حديث له بعنوان "الفيزياء في عصرنا الحاضر" فإن: الكفاح من أجل التبشير بالعلم ينبغي أن يسير جنبا إلى جنب مع حملة أوسع كثيرا، من أجل تجاوز القيم البالية وجلب الأفكار الحديثة، الفنون، الفلسفة، الديمقراطية والتعددية.

× الكاتب مدير مشروع أطلس الأفكار لدى مؤسسة ديموس Demos الفكرية.